



الدور التاريخي للمدن الساحلية في المغرب الأوسط بين العصر القديم والوسيط

" إشكالية تراجع النشاط البحري "

The historic role of the coastal cities of the Middle Maghreb between the ancient and the middle ages "The problem of declining maritime activity"

علي عشي

جامعة باتنة، الجزائر

Maktoob72@gmail.com

تاريخ القبول: 2019/02/30

تاريخ الإيداع: 2019/02/06

الملخص:

يذكر بعض المؤرخين أن الفتوحات الإسلامية ساهمت في تفكك وحدة العالم المتوسطي، وبالتالي تحميل العرب مسؤولية تحطيم حضارة المغرب الموروثة في أغلبها عن الحضارة الرومانية البيزنطية، ومنهم المؤرخ البلجيكي هنري بيران في كتابه الشهير محمد وشارلمان أن الفتوحات الإسلامية هي التي قضت على الإمبراطورية الرومانية وحطمت وحدة البحر المتوسط مما أدى إلى تغير ميزان القوى فيه وقضت على الحركة التجارية الأوربية في البحر المتوسط، وعملت على قطع العلاقات التجارية بين الشرق والغرب، وتحول البحر المتوسط من بحيرة رومانية إلى بحيرة عربية إسلامية، وبذلك أصبح الاقتصاد الأوربي اقتصادا مغلقا، فانهار العالم القديم و بدأت العصور الوسطى؛ ولكن المؤرخين المسلمين تصدوا لهذه النظرية وأثبتوا عدم جدواها.

الكلمات الدالة:

المغرب الأوسط، البحر المتوسط، المدن الساحلية، النشاط البحري، الفتح الاسلامي.

Abstract:

Some historians point out that Islamic conquests have contributed to the disintegration of the unity of the Mediterranean world and therefore to the responsibility of the Arabs to destroy the civilization of Morocco, inherited largely from Romano-Byzantine civilization, including the Belgian historian Henri Perrin in his famous book Muhammad and Charlemagne.

This led to a change in the balance of power within it, the suppression of the European trade movement in the Mediterranean and the cutting off of trade relations between East and West and the transformation of the Mediterranean Sea from a Roman lake to a Arab-Muslim lake, So the European economy became closed, the ancient world collapsed and the Middle Ages began, but Muslim historians were against this theory, and they proved its futility.

Key Words:

Middle East, Mediterranean, Coastal Cities, Maritime Activity, Islamic Conquest.



يمتد البحر الأبيض المتوسط من المحيط الأطلسي غربا إلى آسيا شرقا، وهو يفصل أوروبا عن إفريقيا، كما أنه يتوسط القارات الثلاث: إفريقيا، آسيا و أوروبا و من هنا جاء اسم المتوسط، و قد اشتق اسمه من كلمتين لاتينيتين هما : "Médius" أي المتوسط و "Terra" أي الأرض⁽¹⁾. كان حوض البحر الأبيض المتوسط منذ القديم مهدا لحضارات إنسانية عديدة كالمصرية، والحضارة اليونانية، والفينيقية، و القرطاجية و النوميدية في الشمال الإفريقي، والرومانية و البيزنطية و الحضارة العربية الإسلامية.

وهكذا كان عالم البحر المتوسط عبر العصور وحدة في كافة مناحي الحياة الأدبية والمادية، رغم انقسامه إلى كيانات سياسية منفصلة ومتعادية في كثير من أزمنته التاريخية، لاسيما في العصر الوسيط، وساعد على توثيق عرى الترابط بين أقطاره المختلفة الجزر المتناثرة بين سيفيه الشمالي والجنوبي، ومنها صقلية وسردينية ومالطة والبلبار وكريت وقبرص ورودس، فكانت هذه الجزر جسورا تربط بين سواحلها، ومعابره للقيم الحضارية بين عالميه الشرقي والغربي، كما ساعد هذا الترابط الرحلات المتواصلة لطلب العلم أو للتكسب والتجارة البحرية أو لأداء الحج سواء للأراضي المسيحية المقدسة أو الإسلامية بالحجاز⁽²⁾.

ماهي الدوافع والأسباب الكامنة وراء توقف أغلب موانئ المغرب الأوسط عن النشاط خلال بداية العصر الوسيط رغم نشاطها الكبير في العصور القديمة، ولماذا هذا التحول المفاجئ لمنطقة اشتهرت بساحلها وموانئها سواء خلال العهد النوميدي بل حتى خلال فترة الفينيقيين والاحتلال الروماني والوندالي والبيزنطي، وتحولها من منطقة بحرية بامتياز إلى منطقة داخلية تعتمد بشكل محتشم على الجانب البحري؟.

وهذا ما يثير الدهشة والتساؤلات للعديد من المؤرخين على مختلف مشاربهم ومدارسهم، ولعل في بعض هذه التساؤلات- إن لم يكن في كلها - ما يبررها؛ كون هذا التحول المفاجئ جاء مع مجيء الإسلام والفتح العربي لشمال إفريقيا ليتسخ مع النزعة النحلية المذهبية الاباضية التي توقعت على نفسها داخليا بعيدا عن الساحل خوفا من هجمات محتملة للعباسيين. فهل هي حسب ابن خلدون " بداوة العرب " أم خوفهم من هذا المجهول؟.

أولا: التوجه البحري لنوميديا خلال العصر القديم.

يعد البحر المتوسط من أحسن البحار حيث وصفه قولتز "(G.) Glotz" قائلا: " أنه يتشكل من عدة عناصر حيوية تساعد على الملاحة كانهدام الحواجز وقلة التيارات القوية،



مما يساعد على سير السفن التي تبحر قرابة الساحل، فضلا عن تميزه بكثرة الموانئ والجزر بحوضيه الشرقي والغربي، مما يجعل هذه الأخيرة نقاط استدلال⁽³⁾. وعليه، فقد كان البحر المتوسط مدرسة للملاحة البحرية في العصور القديمة لذا عرف العديد من الرحلات البحرية والتي تطرقت لها بعض المصادر الإغريقية والرومانية، وكذا ما ورد على يد البحارة الفينيقيين الذين حرصوا على إقامة علاقات وطيدة مع الشعوب التي وصلوها⁽⁴⁾.

وفي نفس النقطة، يذكر الباحث محمد حسين فنطر أن الفينيقيين كانوا قد بدأوا التردد على غربي البحر المتوسط منذ أواخر الألف الأولى قبل الميلاد، أين أقاموا جسرا عملاقا بين الحوضين مستفيدين في ذلك من ظروف عسكرية وتقنية، منها أفول نجم الأسطول الإيجي، مما جعل أبواب البحر مفتوحة أمامهم وقد كان ذلك في حدود 1200 قبل الميلاد⁽⁵⁾.

ومثلت الرحلات الأولى للفينيقيين مرحلة الاستكشاف ومنها رحلة حنون Hannon⁽⁶⁾ الذي دار حول السواحل الإفريقية ومنها سواحل المغرب القديم بما فيها نوميديا، ورحلة سيلاكس Syllax الإغريقي⁽⁷⁾ والذي تنقل بين شواطئ الهند وشبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر ومنه إلى البحر المتوسط حوالي منتصف القرن الرابع ق.م، لذا فقد تضمنت هذه الرحلة قائمة بأسماء العديد من المحطات القديمة بنوميديا "المغرب الأوسط" مع اتخاذ إيكوسيم الجزائر العاصمة حاليا، كنقطة انطلاق نحو الغرب والشرق، ومن هنا ظهرت مراكز فينيقية منها⁽⁸⁾.

• **إيكوسيم : ICOSIUM / ALGER** : عرفت الجزائر العاصمة ب إيكوسيون Icosion، وإيكوسيم Icosium⁽⁹⁾ حيث أشارت العديد من المصادر القديمة إليها فضلا عن رحلة سيلاكس⁽¹⁰⁾، فقد عرفت في العهد الروماني تحت اسم اكوزيوم، وفي العهد الإسلامي جزائر بني مزغنة، ثم الجزائر⁽¹¹⁾.

• **تيازة:** هي واحدة من المحطات الفينيقية البونية، يعتقد أن اسمها سامي لم يشهد تغييرا⁽¹²⁾ حيث نزل بها التجار الفينيقيين لأغراض تجارية⁽¹³⁾، والمتمثلة أساسا في الرمل والميلان المبسط الذي يسمح بجر السفن إلى اليابسة ليلا⁽¹⁴⁾.

• **أيول IOL / CHERCHEL** : إن اسم أيول "شرشال الحالية"، ربما أخذ من إحدى أسماء الآلهة الفينيقية⁽¹⁵⁾، حيث ذكرت شرشال ضمن قائمة الأماكن التي ذكرها سيلاكس في رحلته⁽¹⁶⁾.



• **كارتيثا / TENES / CARTENNA**: يسود الاعتقاد أن اسم كارتيثا (تنس الحالية) فينيقي ليبي الأصل مكون من جزأين الأول "كرت" ويعني المدينة والثاني ليبي "تيثا" وهو الذي اشتق منه فيما بعد اسم المدينة الحالي تنس⁽¹⁷⁾، كما وردت إشارات لدى استرابون تتحدث عن مناجم النحاس القريبة من كارتيثا⁽¹⁸⁾، ويرى س. جزيل الذي يقول بأن اسم المدينة ورد في رحلة سيلاكس تحت اسم شلكا chalca⁽¹⁹⁾.

• **رشقون RACHGOUN**: تقع جزيرة رشقون في عرض الخليج الذي يصب فيه وادي تافنة، ولا تبعد عن اليابسة إلا بمقدار 2 كلم، وهي موقع وميناء هام ذكر في رحلة سيلاكس⁽²⁰⁾، لقد أجريت العديد من الحفريات برشقون أشهرها تلك التي قام بها فويمو في نهاية الخمسينات وبداية الستينات، حيث وجدت المقبرة البونية ورشقون تعد ميناء هاما شهدت الحضور الفينيقي ثم البوني بها، في حدود القرن السابع قبل الميلاد⁽²¹⁾.

• **سيقا TAKEMBRIT / SIGA**: تذكرها المصادر القديمة حيث يتحدث بلين عنها بأنها تقع على الشاطئ الإفريقي المقابل لمدينة ملقا الإسبانية والآثار القديمة لمدينة سيفاقس التي تقع بقرية تكمبريت TAKEMBRIT على الجهة اليسرى لوادي تافنة⁽²²⁾. ولقد تحدث عنها العديد من المؤرخين مثل البكري وجزيل وتيتيوس ليفيوس، نظرا لما لها من موقع هام ودور رئيسي في ربط العلاقات بين المستوطنات القرطاجية في أسبانيا⁽²³⁾.

• **روسو كورو RUSUCURRU / DELLYS**: يعرف موقع رسوكورو بدلس حاليا، حيث يتميز موقعه بحمايته من الرياح الغربية، كما ورد ذكره لدى المصادر القديمة إذ ترى معظم الدراسات التاريخية أنه لا يستبعد أن تكون رسوكورو محطة تجارية بونية أنشأت قبل الاحتلال الروماني⁽²⁴⁾.

• **صلداي SALDA / BOUGIE**: تقع عند مصب نهر الصومام الذي يصب في البحر، وبذلك فهو يقدم أحسن ملجأ للقوارب والسفن القديمة⁽²⁵⁾، إضافة إلى أنه أشير إلى صلداي في رحلة سيلاكس خلال القرن الرابع قبل الميلاد تحت اسم سيدال sidal وعليه، فإن صلداي ذات أصول فينيقية⁽²⁶⁾.

• **ايجيلي IGILGILI / DJIDJELLI**: أشير إلى ايجيلي (جيجل الحالية) لدى كل من بلين، ورحلة سيلاكس والنقوش اللاتينية، كما أن التنقيبات غرب مدينة جيجل على الطريق الذي يربطها ببجاية وبمقارنة الأدوات الأثرية والتي ضمت فخاريات



شبيهة بتلك التي عثر عليها في قرطاجة وصقلية ثم سردينيا ومالطة، مما يؤرخ للمنطقة بالقرن السادس والخامس قبل الميلاد كبداية للاستيطان بجيجل البونية.

• **شوللو / CHULLU / COLLO:** تقع محطة شولو المعروفة (بالقل) في الجانب الشرقي من رأس بوقرعون الذي يحميها من الرياح الشمالية الغربية، حيث اشتهر سكانها باستخراج الصباغ الأرجوانية من أصداف البحر إلى جانب صناعة القوارب والسفن وهو ما يجعلنا نقول بأن اسم هذه المحطة هو فينيقي بوني⁽²⁷⁾.

• **روسيكادا (RUSICADE / SKIKDA):** على بعد 4 كلم إلى الغرب من ميناء سكيكة ويعتقد بأن اسمه (Stora) يقع مرفأ ستورة سامي الأصل وهو مأخوذ من اسم إلهة قابلها اللاتينيون بالإلهة جونون Junon ربما تكون عشتاروت السامية؛ وأشار إلى روسيكادا في رحلة سيلاكس تحت اسم ثابسوس Thapsus ويمكن أن يكون هذا الاسم يمثل مرحلة من مراحل المدينة التي عرفت فيما بعد باسم روسيكادا وهو مالا يستبعد أن يكون الاسم سامي الأصل لأنه يشتمل في جزئه الأول على اسم رأس Rus المصطلح الفينيقي الذي عرفت كثير من مدن الساحل الجزائري، كما ذهب البعض إلى تفسير اسم روسيكادا على أنه الرأس الوقاد أو رأس النور⁽²⁸⁾.

• **هيبوريجيوس (HIPPO REGIUS / ANNABA):** تعد هيبوريجيوس (عنابة الحالية) أحد المواقع الهامة بالشرق الجزائري، إذ عرفت في العهد البوني بهيبونة، كما تحدثت عنها المصادر القديمة مثل تيت ليف واسترابون ثم سالوست يعتقد أن اسم هيبو ريجيوس ذو أصل فينيقي ولقد تحدث عنها سالوست ضمن أسماء المدن الفينيقية القديمة⁽²⁹⁾، والدراسات التي أجريت حول هيبونة تُرجع تاريخ المدينة إلى القرن الثاني قبل الميلاد، والملاحظ أن ميناء هيبوريجيوس كان قد لعب دورا هاما في التاريخ الفينيقي البوني⁽³⁰⁾.

وبالتالي نستنتج أن القرطاجيين أنشأوا مستوطنات على طول ساحل البحر المتوسط وتركزوا على الساحل بصفة خاصة دون الغوص في أعماق الداخل⁽³¹⁾. لتأتي الحروب البونيقية وترسخ علاقة نوميديا بالبحر المتوسط باعتبار تدخل ضمن صراع حول مجال العلاقات الدولية في العالم القديم بين قرطاجة والإغريق والرومان و البربر " الليبيين" أي هي محاولات للسيطرة والنفوذ في حوض البحر المتوسط. ليتحول ميزان القوة لصالح الرومان الذين أصبحوا يطلقون على البحر المتوسط " بحرنا"⁽³²⁾، ورغم ذلك بقيت نوميديا على علاقة وطيدة بالبحر من خلال اتخاذ سيفاكس لمدينة سيقا" بني صاف



حاليا" كعاصمة له⁽³³⁾، بل حتى أنه احتضنت أول مؤتمر عالمي للصلح بين الرومان والقرطاجيين سنة 206 ق م⁽³⁴⁾.

ويعتبر أول من وحد النوميديتين هو سيفاكس، حيث كانت عاصمتها سيقا المطلة على البحر المتوسط⁽³⁵⁾، ورغم تحول العاصمة لنوميديا الموحدة نحو سيرتا الداخلية بقيادة ما سينييسا سنة 202 ق م إلا أن نشاط المدن الساحلية وموانئها بقي مستر خاصة لتصدير المنتجات الزراعية نحو روما وعلى رأسها الحبوب⁽³⁶⁾.

ليأتي يوبا الثاني (25 ق م - 23 م)⁽³⁷⁾، الذي رجع واتخذ مدينة شرشال "قيصرة" عاصمة لدولته مبديةا تفتحا كبيرا على البحر وربط علاقاته بالحضارة الرومانية⁽³⁸⁾. وحتى بعد الاحتلال الروماني لبلاد المغرب عام 42 م وتقسيمه إلى مقاطعات منها مقاطعة موريطانيا القيصرية والتي كانت دائما عاصمتها بحرية وهي قيصرة أو شرشال⁽³⁹⁾، ووسعت من تجارتها البحرية مع شمال البحر المتوسط⁽⁴⁰⁾.

وقد بين البلجيكي هنري بيران أن أهم ما يميز الإمبراطورية الرومانية هو ارتباطها بالبحر المتوسط ارتباطاً وثيقاً لأن حضارة العالم الروماني تركزت على هذا البحر الذي كان أداة لنقل الأفكار والديانات والسلع وأن عظمة الإمبراطورية الرومانية واستمرارها مرتبط بوحدة هذا البحر و بقاءه بحيرة رومانية⁽⁴¹⁾. لقد بينت الدراسات أن المدن الساحلية لبلاد المغرب الأوسط لا يمكن فصلها عن أصولها القرطاجية بعدما تم بناء عدد من المرفأء المعدة للمبادلات التجارية، وكل أسماء المدن حولت إلى اللاتينية بعد بناء المستعمرات الرومانية على أنقاضها⁽⁴²⁾.

ثانيا: الانكماش البحري خلال الفتح وعصر الولاة.

تعد علاقة الإسلام بالبحر من بين المواضيع التي ما زالت مطروحة لارتباطها بالازدهار العمراني الساحلي وبالاذهار التجاري من جهة أخرى، إذ تذكر المصادر الإسلامية أن عثمان بن عفان بن العاص الثقفي والي البحرين أول من قام بغارة بحرية على ساحل الهند، كما قام خلفه العلاء بن الحضرمي سنة 17 هـ بالعبور بحرا إلى بلاد فارس ومعه إثنا عشر ألفا من المسلمين وعاد بغنائم كبيرة ، وقد أغضب عمله الخليفة عمر بن الخطاب، فعزله لأنه لم يستأذنه⁽⁴³⁾.

وقد بدأ الاهتمام بالأسطول العربي الإسلامي في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان "ض"⁽⁴⁴⁾، أين تركز أسطوله في الفسطاط بمصر، حيث أقيمت دار لصناعة السفن



في جزيرة الروضة على النيل، ثم أنشأ مركز آخر في بلاد الشام وأسطولا ثالثا في بحر القلزم والسويس⁽⁴⁵⁾.

كما أن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان "ض" أمر بإنشاء دار لصناعة السفن في سنة 49هـ / بمدينة عكا في فلسطين وبقيت هناك حتى ولي بنو مروان فنقلوها إلى صور⁽⁴⁶⁾، وعمل الخليفة معاوية على تقوية الأسطول الإسلامي حتى بلغ عدد سفنه 1700 سفينة⁽⁴⁷⁾، مما سمح له لفتح ما تواجد من جزر في البحر المتوسط⁽⁴⁸⁾.

انقسمت البحرية الإسلامية في العصر الأموي إلى ثلاثة أساطيل مستقلة عمل كل منها في منطقة معينة وهي: أسطول مصر، أسطول سوريا، وأسطول شمال إفريقيا بلاد المغرب"، ويطلق على كل قائد للأسطول لقب صاحب البحر أو أمير البحر⁽⁴⁹⁾.

ورغم ذلك نجد في العصر الإسلامي في بدايته خوف من البحر حيث يذكر اليوسي أن "لا أمان له"⁽⁵⁰⁾، ويشبه ابن قتيبة البحر "خلق عظيم، يركبه خلق ضعيف، دود على عود بين غرق وبرق"⁽⁵¹⁾. وجاء على لسان ابن المقفع: "ولقد كنت أسمع أن فيلسوفا كتب إلى تلميذه يقول: إن مجاورة رجال السوء، والمصاحبة لهم كراكب البحر، إن هو سلم من الغرق لم يسلم من المخاوف"⁽⁵²⁾. و قيل إن خصالا ثلاثا لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من علو همة وعظيم خطر، منها: صحبة السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدو"⁽⁵³⁾. وهذا ما قد يفسر سبب عدم الإقبال على البحر من قبل المسلمين في البداية.

لقد شارك الأسطول العربي الإسلامي بمراكبه التي كانت صناعتها في مصر في العمليات ضد البيزنطيين في ولاية حسان بن النعمان الغساني سنة 79هـ/⁽⁵⁴⁾.

كما نجد موسى بن نصير عندما أراد القيام بغزوة الأشراف-وهي أول غزوة في البحر الإفريقي الشمالي- سنة 85هـ / أمر الناس بالتأهب لركوب البحر، وكان أعلمهم أنه راكب البحر فيه بنفسه، مرغبا إياهم على اقتحام أهوال البحار، فتسارعت الناس من كل فج وصوب، ولم يبق شريف من أهل القيروان وتونس وما جاورهما، إلا وقد ركب"⁽⁵⁵⁾، ونستنتج من هذه الرواية والواردة في كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة أن سكان شمال إفريقيا "بلاد المغرب" كانوا متوجسين خيفة من ركوب البحر إلى أن طمأنهم وأخبرهم أنه - أي موسى بن نصير- أول الراكبين، وهو أمر غريب عن سكان اعتادوا على ركوب البحر قبل الاسلام، كما نستنتج من ذلك أن أغلب سكان بلاد المغرب بما فيه المغرب الأوسط شاركت في هاته الحملة. وقد أدرك المسلمون الفاتحون تمام الإدراك تخلفهم في الثقافة البحرية⁽⁵⁶⁾، ليس بالنسبة لأعدائهم البيزنطيين فحسب، بل بالنسبة



لسكان البلاد المفتوحة كسكان المغرب الأوسط الذين كانوا بحكم اطلالة بلادهم على البحر قد تمرسوا في خوض مياهه⁽⁵⁷⁾. وبعد فتحهم للمغرب الأوسط وضمه إلى أملاك الدولة الأموية، عززت قوتها العسكرية بإنشاء سلاح البحرية، وأقامت دارًا لصناعة السفن في تونس وصنع مائة مركب سنة 84 هـ⁽⁵⁸⁾، وزودت هذه الدار بما يلزمها من المواد والصناع⁽⁵⁹⁾.

كانت نواة تلك الدار ألف عامل متخصص في صناعة السفن تم نقلهم من دار الصناعة - المنطقة الصناعية - بمصر، وقد تم وضع التنظيم اللازم وطريقة إمداد تلك الدار بالأخشاب من غابات الشمال الإفريقي كبونة وصلداي، واختيار جماعات من البربر من سكان تلك المناطق للقيام بتلك المهمة، حيث هم أخبر الناس بمناطق وجود الأخشاب الجيدة الملائمة لتلك الصناعة⁽⁶⁰⁾. قام والي تونس بتوسيع دار الصناعة بها؛ فشق قناة بين الميناء وبين المدينة بطول اثني عشر ميلاً⁽⁶¹⁾، وشكلت هذه القناة ما يماثل اليوم أحواض بناء السفن أو الأحواض الجافة، وأصبحت مناطق دور صناعة السفن الحربية مناطق جذب سكاني.

ورغم قيام موسى بن نصير بعدة حملات بحرية فتح فيها كل من جزيرة قوصرة والتي تعرف اليوم بنظارية، بين المهديّة وصقلية، سنة 78 هـ⁽⁶²⁾، ثم سرقوسة، سنة 86 هـ، ثم سردينية سنة 89 هـ⁽⁶³⁾، إلا أننا لا نجد للمغرب الأوسط أثر أو مساهمة أو محاولة إنشاء موانئ أو مدن ساحلية أو دور صناعة به رغم ما يتمتع به من موقع استراتيجي وأهمية لخلجانه لرسو السفن وخبرة أهله السابقة في البحرية وهو ما يدعو للتساؤل والحيرة؟.

باستثناء إشارة تاريخية قد تكون مجرد أسطورة، تفيد أن موسى بن نصير وضع حراسة قوية على سواحل بلاد المغرب، وكلف طارق بن زياد بهذه المهمة، بحيث توجه طارق إلى تلمسان وابتدأ برصد السفن البيزنطية، في محاولة للاستيلاء عليها، وأخذ من عليها من الرجال للاستفادة منهم في الحصول على معلومات يمكن أن تستخدم في مهاجمة الأندلس، أو غيرها من مناطق البحر المتوسط⁽⁶⁴⁾.

فإن صحت هاته الرواية المفردة فيعني ذلك اهتمام موسى بن نصير بموانئ المغرب الأوسط كميناء تلمسان، وبخبرة سكان المغرب الأوسط من البربر في البحر المتوسط لفتح الأندلس. كما أن بعض المؤرخين يرجعون أصل طارق بن زياد إلى بربر زناتة المستقرة بضواحي تلمسان⁽⁶⁵⁾، وهذا يوحي باهتمام سكان المغرب الأوسط بالبحر والبحرية حتى



مع الفتح الإسلامي، وهو القائد العظيم الذي فتح الأندلس، وكان أغلب جيوشه من البربر، وأكد سيكونون من قبيلته وبالتالي من المغرب الأوسط. وتشير المصادر الكارولنجية أن أوائل الملاحين المسلمين في السواحل الشرقية للجزائر كانوا من بربر مقاطعة موريطانيا، وعرفوا باسم موري Mauri وقد اشتهروا بغزواتهم ضد معاقل النصرانية انطلاقاً من شواطئ المغرب الأوسط والأندلس⁽⁶⁶⁾.

ولكن هناك نص تراثي متأخر نوعاً ما عن مرحلة الفتح، وهو مخطوط فقهي وصف فيه النتائج السوسيو إقتصادية للفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وصاحبه هو الفقيه، وقاضي بجاية الحفصية عبد الرحمن الوغليسي (ت 786هـ / 1384 م) الذي وردت نازلته في مجموع " الدرر المكنونة في نوازل مازونة" لأبي زكريا يحيى بن موسى المغيلي المازوني (ت 883هـ / 1478 م) في هذا النص تحدث الوغليسي عن وضعية الأرض في بلاد المغرب مركزاً على دور الفتوحات الإسلامية في إعادة الخريطة الزراعية، ولكن ما يلفت الانتباه هو تحميل الفاتحين مسؤولية الأزمة الاقتصادية التي حدثت بفعل لجوء سكان الأراضي الواقعة قرب المدن الساحلية إلى الجبال هروباً من الجند المسلمين، هل هذا كان كافياً لإحداث أزمة اقتصادية مصحوبة بانحطاط شامل؟ نص النازلة لا يسمح باستخلاص ذلك⁽⁶⁷⁾. كما أن الاضطرابات التي شهدتها بلاد المغرب في عهد الولاة -ثورات البربر ووالخوارج- سمحت بسيطرة البيزنطيون على غرب البحر المتوسط، وساءت الأحوال الاقتصادية⁽⁶⁸⁾، وهذا يعني أن الحركة التجارية لبلاد المغرب قد ضعفت واتجهت بعيداً عن الساحل⁽⁶⁹⁾.

كما يذكر المؤرخ فتحي عثمان أنه في بداية العصر العباسي توقف النشاط البحري للمسلمين في مصر والشام وبلاد المغرب، ما يقارب من خمسين سنة، بسبب انصراف الدولة العباسية التي انتهجت منذ قيامها سياسة مشرقية وتطلعت بوجهها- نحو خراسان- عن شؤون البحر، ونفضت يدها من محاربة البيزنطيين في البحر المتوسط⁽⁷⁰⁾، مما أدى إلى انفصال المغرب الإسلامي والأندلس عن المشرق⁽⁷¹⁾. فكيف ساهمت الفتوحات الإسلامية في تفكك وحدة العالم المتوسطي، وبالتالي تحميل العرب مسؤولية تحطيم حضارة المغرب الموروثة في أغلبها عن الحضارة الرومانو بيزنطية⁽⁷²⁾.

يذكر المؤرخ البلجيكي هنري بيران في كتابه الشهير تحت عنوان محمد وشارلمان سنة 1937: "أن الفتوحات الإسلامية هي التي قضت على الإمبراطورية الرومانية و الفتوحات العربية الإسلامية أدت إلى النتائج التالية:



- تحطيم وحدة البحر المتوسط وتغيير ميزان القوى فيه .
- الفتوحات العربية الإسلامية قضت على الحركة التجارية الأوربية في البحر المتوسط ، وعملت على قطع العلاقات التجارية بين الشرق و الغرب .
- تحول البحر المتوسط من بحيرة رومانية إلى بحيرة عربية إسلامية، وبذلك تحول الاقتصاد الأوربي إلى اقتصاد مغلق

يعتمد على الاكتفاء الذاتي ، لذلك انهار العالم القديم و بدأت العصور الوسطى .

- أن التجار المسلمين لم يمارسوا نشاطهم خارج حدود العالم الإسلامي⁽⁷³⁾ .
- وقد لقيت فعلا هذه الأطروحة ردود أفعال كثيرة من طرف أقطاب الإستشراق : كألبي أشتور "Eliyahu Ashtour" ، والذي حمل فيه الفتوحات الإسلامية مسؤولية تفكك الوحدة السياسية والاقتصادية للعالم المتوسطي، وهذا ما أدى إلى انحطاط شامل لمدن المنطقة في مقال له صدر في المجلة السويسرية للتاريخ سنة 1970، والذي ناقش فيها أطروحة هنري بيران من خلال توضيح دور اليهود الردانين في التجارة المتوسطية خلال الفترة الإسلامية الأولى⁽⁷⁴⁾ .

وبقيت هاته النظرة إلى غاية ثمانينات القرن الماضي عندما أثبت كل من الأثريين ريتشارد هودغس Richard Hodges ودافيد ويتهوس David Whitehouse " في كتابهما الموسوم ب " محمد، شارلمان، وأصول أوروبا" بأن انحطاط حضارة المتوسط الغربي قد بدأت في القرن الثالث الميلادي زمن الإمبراطورية الرومانية، وهذا اعتمادا على نتائج الحفريات التي أجريت في بريطانيا وتونس⁽⁷⁵⁾ . وقد قلل المؤرخ الفرنسي بيار غيشار Pierre Guichard من نتائج هذه الدراسة الأثرية واعتبرها غير معبرة عن التطور الشامل للمنطقة، وبالتالي فإن نتائج الحفريات تبقى نسبية، وغير شاملة لكل مناطق حوض البحر المتوسط⁽⁷⁶⁾ .

كما يذكر حسن الوزان(ت نحو 957 هـ/1550م) أن بلاد المغرب في بداية الفتح الإسلامي كانت تحوي مدن وكتابات إفريقية باللغة المحلية، قام المسلمون بإحراقها في الفترة العباسية بداعي أن " الإبقاء عليها من شأنه أن يترك الأفارقة على نخوتهم القديمة ويدعوهم إلى الثورة والارتداد عن الإسلام"⁽⁷⁷⁾ ، ولكن هذا فيه الكثير من التجني دون دليل خاصة للبعد الزمني للوزان عن الفترة المدروسة ولغياب النصوص التي تثبت ذلك⁽⁷⁸⁾ .

لكن يعود الوزان لينصف المسلمين من خلال تأكيده استمرار الكثير من المدن التي كانت قبل الإسلام بعد الفتح-بما فيها الساحلية- وتتوزع المدن التي ذكرها الوزان من



حيث التأسيس إلى ثلاثة أصول أساسية تراوحت بين الموروث الإفريقي القديم أي النوميدي والموروث الروماني ثم الموروث الوندالي، وأخيرا يشير إلى المساهمة المدنية في ظل الإسلام⁽⁷⁹⁾.

ويبقى الأصل المحلي للمدن المغربية المستحدثة في الفترة الإسلامية في طليعة إشارات الوزن، وهنا يظهر الدور البناء للعنصر العربي والبربري في عملية التعمير، مما يوضح جليا أن أعددا معتبرا من المدن المغربية قد تم تشييدها في الفترة الإسلامية أو أنها واصلت مشوارها في الفترة الإسلامية وحافظت على قاعدتها السابقة، واستعمل الوزن مصطلحات تبين استمرارية المدن التي كانت قبل الإسلام وبعده في بلاد المغرب كقوله: "بناها الأفارقة في عصر قريب"⁽⁸⁰⁾، أو "مدينة أسسها في عصرنا ملوك"⁽⁸¹⁾، أو "مدينة بناها الأفارقة"⁽⁸²⁾، في إشارة إلى المجتمعات القبلية المحلية سواء قبل الإسلام أو بعده، ومن المدن الساحلية التي ذكرها هذين أرشكول...

ومن المعروف أن العرب في المغرب والأندلس أبقوا التعامل بالنقود البيزنطية اللاتينية لانشغالهم بعمليات الفتح وتركيز أركان الدولة ويبدو أن هذه العملية دامت سبعين سنة، لأننا نملك نقودا لموسى بن نصير (84-96هـ/703-715م) حافظ فيها على كل خصائص الدنانير الهرقلية⁽⁸³⁾، والنقود التي كانت سائدة في العصر البيزنطي الدنانير الذهبية والفلوس النحاسية⁽⁸⁴⁾، مما يؤكد استمرار النشاط التجاري البحري مع صفتي البحر المتوسط ولم تكن هناك قطيعة مع قدوم العرب الفاتحين.

والمتتبع لانتقال النسيج العمراني القديم إلى نمطه الإسلامي⁽⁸⁵⁾، في المغرب الإسلامي، يلاحظ بالنسبة للمدن الساحلية القديمة، بناء مدينة حديثة إسلامية بجانبها لتصبح مكاملة لبعضها كما هو الحال لتنس وبونة، والناصرية "بجاية" وتلمسان، وهو ما يبين عدم وجود قطيعة عنيفة مع الموروث القديم السابق للفتح الإسلامي، وهو ما ينطبق كذلك على الأنشطة الملاحية لمدن الساحل، حيث لم تتوقف نهائيا بسبب عمليات الفتح⁽⁸⁶⁾.

بل العكس فقد عرفت الواجهة الساحلية للمغرب الأوسط بداية من القرن التاسع الميلادي نشاط تجاري هام بفضل قيام الملاحين الأندلسيين بتأسيس عدة مدن وموانئ على الساحل المغربي، مع جيل جديد من الملاحين الأندلسيين الذين خلفوا العنصر البربري الجهادي، وقد تخصص هذا الجيل في شراء منتجات المغرب وبيعها في الأندلس بعدما تمكن من بناء مدينة تنس، ووهران، ومرسى الدجاج⁽⁸⁷⁾. ويعود الفضل في هذا النشاط



التجاري بالبحر المتوسط إلى سياسة خلافة قرطبة التي اهتمت بربط الأندلس ببقية العالم الإسلامي تجارياً⁽⁸⁸⁾.

وكل ذلك يجيب عن الاشكالية التي طرحت في البداية وهي ما العوامل التي ساهمت في تراجع الدور الساحلي لمدينة المغرب الأوسط، مع الفتح الإسلامي؟ ومردّه لأسباب عدة منها الخوف من الهجمات البيزنطية، طبيعة العرب الفاتحين الميالين للمناطق الداخلية والشبه صحراوي، والسبب الرئيسي هو تدهور المدن الساحلية أصلاً قبل مجيء الإسلام بل العكس عند مجيء المسلمين بنيت مدن ساحلية جديدة.

في ختام هذا المقال نستطيع استخلاص جملة من النتائج منها:
أثر امتداد ساحل المغرب الأوسط في طبيعة السكان، فكانوا يتميزون بنشاطهم البحري، وأصبح جزء لا يتجزأ من حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، ولم يظهر هذا النشاط في صورته الحقيقية إبان تبعية بلاد المغرب للخلافة الأموية ثم العباسية "عصر الولاة"⁽⁸⁹⁾، ولكنه اتضح بعد أن تطلع المغاربة إلى الانفصال وتشكيل دول مستقلة، فمارسوا نشاطهم البحري الذي بلغ ذروته في القرنين الرابع والخامس.

إن مسألة بقاء المدن والثقافات المحلية منذ القديم في المغرب الأوسط لا تحتاج إلى دليل، نظراً لاستمرارها في عديد من المناطق، بل إن حضور المدن القديمة الساحلية ممتد إلى اليوم، ويمكن أن نسلم بتراجع دور بعضها لحساب البعض لكن دون قطيعة نهائية أو انهيار كما ذكر المؤرخون المغرب.

إن قوة المغرب الأوسط المادية ما فتئت سائدة في البحر المتوسط الذي كان رومانيا فأصبح طوال العصور الوسطى (بحراً عربياً) - كما يقول ماكس فنتيجو- بجزره وسواحله وأساطيله ونهضة تجارته وأضحت لغة القرآن هي اللغة الدولية للتجارة والعلم. أن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب لم تنجز عنه حدوث قطيعة في مجال الأنشطة البحرية، ولا يمكن الحديث كذلك عن انحطاط اقتصادي للمنطقة، وإنما يتعلق الأمر بحدوث أزمة نتيجة سيادة الفوضى بسبب الحروب، وكذلك طول مدة التي استغرقها العرب في تنظيم الحياة السياسية والاقتصادية لبلاد المغرب⁽⁹⁰⁾.

لكن مع عودة الأمن عرفت مراسي بلاد المغرب الأوسط والمغرب عموماً حركة تجارية، انتعشت تدريجياً بفعل مساهمة أنظمة حكم مركزية ومجموعات اجتماعية في تنشيطها. على عكس ما ذهب إليه المؤرخ البلجيكي هنري بيرين Henri Pirenne، فإن البحر المتوسط أبعد من أن يكون خط انكسار بين المسيحية والإسلام، فالمبادلات



الاقتصادية كانت متعددة بين الضفاف الشمالية والجنوبية للبحر المتوسط منذ العصر الوسيط الأعلى. الهوامش:

1) Gareth .M. Winrow, dialogue with the Mediterranean the role of NATO's Mediterranean initiative. New York and London : Garland Publishing ,2000 ,p03.

2) كلمة السيد عبد العزيز سالم خلال مؤتمر الإسكندرية الدولي حول التبادل الحضاري بين شعوب حوض البحر المتوسط عبر التاريخ أيام 15-19 يناير 1994، ص35.

3) خديجة منصوري: الرحلات عبر البحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة، مجلة دراسات إنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الثانية – العدد الثاني، 2002 ، ص158-176.

4) خديجة منصوري: المرجع نفسه، ص159.

5) محمد حسين فنطر: الحرف والصورة في عالم قرطاج، منشورات البحر الأبيض المتوسط، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999 ، ص11.

6) انطلقت من مدينة قرطاجة في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد بهدف البحث عن أسواق جديدة، ولقد وصلتنا أخبارها عن طريق ترجمتها الإغريقية، حيث اشترك في تلك الرحلة الليبيون إلى جانب القرطاجيين وقد أورد .س.جزيل Gsell (S.) عدة تفاصيل عن تلك الرحلة المنقوشة بمعبد كرونوس والتي قادها حانون وهو الزعيم القرطاجي الذي سافر على متن ستين سفينة والملاحظ على تلك الرحلة أنه لم يرد ذكر الأماكن التي سلكتها فيما عدا ذكرها لأعمدة هرقل (مضيق جبل طارق الحالي) إذا يرى الباحث محمد الصغير غانم أن تلك الرحلة نظمت بعد معركة هيميرا Himira التي أنهزم فيها القرطاجيون أمام الزحف الإغريقي في صقلية، و يرجح بأن الرحلة سلكت شواطئ المغرب القديم. محمد حسين فنطر: المرجع السابق، ص ص127-130.

7) سيلاكس: بحار يوناني قام برحلة خلال القرن الرابع قبل الميلاد وصف سواحل افريقية والغرب وسواحل مراكش على المحيط الأطلسي حول الموضوع أنظر: عثمان الكعاك:مفاخر البربر، نشر تامغناست،ليبيا، بدون تاريخ، ص16.

8) محمد الصغير غانم: معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص104 .

9) Plinie L'ancien ; Histoire Naturel, lib, III, 19 et V, 20.

10) Gsell Ct; Histoire ancienne de l'Afrique du Nord éd Hachette, Paris 1913-1928, II, p.

159.

11) ومحمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص200.

ويرى البعض أن تلك التسمية كانت على أساس أن هرقل قد مر بالمنطقة التي أسست بها المدينة وترك مجموعة من أصحابه التجار البالغ عددهم عشرين فردا، وهم الذين أسسوا(إيكوسيم)، وحتى لا يستأثر أحدهم بتسميتها دون الآخرين، أطلقوا عليها اسم رقم عددهم الذي هو عشرون ويعني في اللغة اللاتينية إيكوسي (Eikosi) وهذا ما يعني أن تأسيس المدينة كان قد تم على يد قادمين جدد تقوهم شخصية أسطورية " هرقل " الذي يمكن أن يعني الإله "بعل ملقارت " الصوري، في حين أن بعض التنقيبات التي جرت أعطتنا فخارا يعود إلى القرن الثالث والثاني قبل الميلاد ونقيشة نيو بونية

Le Glay (M.), « A la recherche d'Icosium », Ant.Afr, 2,1868, pp. 7-52

12) Baradey(J.), Nouvelles fouilles à Tipasa survivances du culte de Baal et de Tanit au 1er siecle après J.C., Libyca ,1957 , pp.221-275..



- (13) ومحمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص181.
- (14) Gsell(S.), Tipasa ville de la mauritanie césarienne in M.E.F.R.,1894,T.XIV pp.293-321.
- (15) ومحمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص184.
- (16) Gsell(S.), H.A.A.N., II, p. 160, note 10. ; le Périple de Scylax, Géographici Gréeci minores, I,1901, p.110.
- (17) ومحمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص186.
- (18) Strabon, Géographie, 4vol, Trad., A. Tardieu éd, Hachette, Paris, 1867, XVII,3,11.
- (19) Gsell(S.), H.A.A.N., T.II, p.163.
- (20) Gras (M.), Rouillard (P.) et Teixidor (J.), L'univers phénicien, Hachette, Paris, (1ère éd., Arthaud, Paris), p.61.
- (21) Laporte (J.-P.), « Siga et l'île de Rachgoun », dans L'Africa Romana, Rome,2006, pp. 2531-2598..
- (22) LVuillmot (G.), « Siga et son port fluvial », Ant.Afr, 1971, 5, pp. 39-86.
- (23) ومحمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص189.
- (24) ومحمد الصغير غانم: المرجع نفسه ص207.
- (25) نفسه، ص207.
- (26) Gsell(S.), H..A.A.N., II, p. 157.
- (27) Tissot (Ch.), Géographie comparée de la province romaine d'Aftique (1884), T.II, p.180.
- (28) Judas (A.), Etude sur dix neuf inscriptions numidico Puniques Mémoires de la société des antiques de France XXIV, Paris, (1859), PP.191-192.
- (29) Salluste ; La Guerre de Jugurtha, Belles Lettres, 2002 , XIX ,I.
- (30) محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص215.
- (31) محفوظ قداش: الجزائر في العصور القديمة، وزارة الثقافة، 2007، ص44.
- (32) Salluste ,Jughurta , XVII.
- (33) محمد الصغير غانم: المملكة النوميديّة والحضارة البونية، دار الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998، ص47.
- (34) Strabon, op.cit.p.19
- (35) محمد الصغير غانم: المملكة النوميديّة، ص47.
- (36) Tite Live, XXX, 12 ; A.Berthier, La Numidie rome et le Maghreb,...pp42-43.
- ومحمد الهادي حارش: التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، دت، دط، ص237.
- (37) ولد يوبا الثاني حوالي 50 ق م وبعد مقتل والده يوبا الأول سنة46 ق م نقل إلى روما ، ويعد من ألمع علماء عصره حيث ألف كتابا عديدة منها مؤلفه أو ليبيكوس. ونقل المؤرخ اليوناني بلوتاركو بعض أسماء هذه الكتب ومن ضمنها ليبيكاس "نسبة الى ليبيا، الاسم الذي كان يعرف باسم شمال إفريقيا ومجموع القارة الإفريقية، وهذا الكتاب يتكون من ثلاثة أجزاء تتعلق بالأساطير والتاريخ والجغرافيا وكتاب "أكريولوجيا الرومانية" حول تاريخ روما كما



كتب كتابا عن المسرح في 18 مجلدا وآخر عن الفنون عند الشعوب. وجميع هذه الكتب فقدت ووصلت أخبارها في مؤلفات مؤرخين وجغرافيين لاحقين استعانوا ببوبا كمرجع أساسي في مؤلفاتهم. **بيومي مهران: المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص294.**

38)Gsell. S. op.cit.p194-196.

(39) مجموعة من المؤرخين: الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، طبعة وزارة المجاهدين، 2007، ص56-57.

(40) نصحي إبراهيم: تاريخ الرومان، مصر، 1978، ج2، ص734.

41) Henri Pirenne; Mahomet et Charlemagne, reed, Paris, 1937, pp.45-60.

(42) علاوة عمارة: إشكالية الهوية المغاربية من خلال جغرافية الحسن الوزان، سلسلة دراسات وأبحاث تاريخية تحت عنوان المغرب في عهد الوطاسيين من خلال وصف إفريقية للحسن الوزان، مجلة المعرفة التاريخية، المغرب، العدد1، 2011، ص79.

(43) رحيم كاظم محمد الهاشمي، و عواطف محمد العربي شنقارو: الحضارة العربية الإسلامية، دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2002، ص91.

(44) أول معركة بحرية انتصر فيها المسلمون انتصارا باهرا هي ذات الصواري سنة 31 هـ. **الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1970، ج4، ص288؛ و قيل في سنة 34 هـ. الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ج1، ص25، وقد انتصر العرب المسلمون فيها على الروم البيزنطيين إذ استعمل العرب أسطولهم المكون من مائتي سفينة. ياسين أحمد صالح الدليمي: دور البحرية العربية الإسلامية في فتح الأندلس، مجلة العلوم الإسلامية، جامعة تكريت، العراق، العدد6، 1431، ص61.**

(45) توفيق سلطان اليوزبكي: دراسات في النظم العربية الإسلامية، مطابع الجامعة، الموصل، العراق، 1397 هـ، ص146.

(46) البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، و عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف بيروت، 1987، ص161.

(47) عمر فاروق وآخرون: النظم الإسلامية، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1987، ص185.

(48) ياسين أحمد صالح الدليمي: المرجع السابق، ص58.

(49) ويعرف رئيس الملاحين بالربان الذي يجب أن يكون له معرفة شاملة في تسيير السفن وعلوم البحر والأنواء والقياسات ومطالع النجوم، وبلي الربان في الوظيفة الديدبان وهو الرقيب الذي يقف في مقدمة السفينة ليتطلع أحوال البحر في حالة السلم وأخبار العدو في حالة الحرب، وهناك المناادي ومهمته تبليغ أوامر الربان إلى الملاحين، والدليل الذي يرشد السفن عند دخولها أو المرور على السواحل الوعرة والمضائق.

رحيم كاظم محمد الهاشمي، و عواطف محمد العربي شنقارو: المرجع السابق، ص93-94.

(50) اليوسي: المحاضرات في الأدب واللغة، تحقيق وشرح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، بيروت 1982، ج1، ص209-210.

ثلاثة ليس لها أمان البحر والسلطان والزمان

(51) ابن قتيبة: عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996، ج1، ص137.

(52) انظر كلية ودمنة، المكتبة العصرية، صيدا، 2005، ص13.



- (53) نفسه، ص65.
- (54) ياسين أحمد صالح الديلمي: المرجع السابق، ص58.
- (55) ابن قتيبة: المصدر السابق، ج2، ص111-112.
- (56) لا شك أن سبب إحساس العرب بالتخلف في المجال البحري يرجع إلى تعرض القسم الجنوبي من بلادهم وأعني به اليمن وحضرموت وعمان زمنًا طويلاً لسيطرة الأبحاش الذين استأثروا بالطريق التجاري عبر البحر الأحمر، ثم لسيطرة الفرس الذين قضوا على تجارة العرب في بحري عمان وفاس واحتكروا لأنفسهم تجارة الهند إضافة إلى السيطرة البنظلية التامة على البحر المتوسط، إضافة إلى طبيعة بلادهم الصحراوية، حيث يندر وجود الأشجار التي تصلح لصناعة السفن، وخلوها من معدن الحديد.
- Ali Moh fahmy ; Muslim sca power the eastern Mediterranean, Cairo, 1966, p.48.
- (57) أحمد مختار العبادي، والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر- والشام، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص14.
- (58) هي عبارة عن ترسانة بحرية تأوي السفن إليها وتكون مصنعاً لبناء السفن، وتجهيزها بالعتاد والسلاح، وأمر موسى بن نصير بأن يجر ماء البحر إليها بأن يحفر قناة واسعة توصل مياه البحر إليها إلى الداخل، وذلك من أجل حمايتها والزيادة في أمن السفن عند هبوب عواصف البحر وأنوائها. **يحي شامي: موسى بن نصير الفاتح الذي لم تهزم له راية، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، 1، 2005، ص36؛** وقال البعض أن حسان بن النعمان سبق موسى بن نصير في إقامة هاته الدار في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وأن موسى بن نصير أنه قام بتوسيعها فقط. **عبد الواحد ذنون طه: موسى بن نصير، المدار الإسلامي، بيروت، 1، 2004، ص65،** وهناك من يرجعها إلى الوالي عبيد الله بن الحبحاب الذي بناها سنة 116 هـ. **البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت، ص37.** من المرشح أن يكون حسان بن النعمان هو من أنشأها، ثم وسعها موسى بن نصير وابن الحبحاب.
- (59) محمد ضيف الله بطاينة: دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، 1، 1999، ص315.
- (60) يحي الشامي: المرجع السابق، ص37.
- (61) ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، اعتنى بطبعه وبتصحيحه محمد محمود الرافعي، مطبعة النيل، مصر، 1904، ج2، ص110.
- (62) ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر بيروت، د ت، ج4، ص413.
- (63) ابن قتيبة: المصدر نفسه، ج2، ص112-113.
- (64) عبد الملك بن حبيب: كتاب التاريخ، اعتنى به عبد الغني مستو، المكتبة العصرية ببيوت، 1، 2008، ص143؛ **و عبد الواحد ذنون طه: المرجع السابق، ص65.**
- (65) هو طارق بن زياد بن عبد الله بن رقهو بن ورفجوم بن بنزغاسن بن ولهاس بن يطوفت بن نفزاو، فهو بربري من نفزة، وهو مولى لموسى بن نصير من سبي البربر، وبالتالي يشار إليه بأنه طارق بن زياد النفزاوي البربري من إفريقية. **ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان، وإيفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، 2، 1980، ج2، ص5.**
- 66) Pierre Guichard cite par Christophe Picard, La mer et les musulmans d' Occident au Moyne Age, Paris, Puf , 1997, p.12.



- (67) المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط، المكتبة الوطنية تونس، رقم 3502، نقلا عن علاوة عمارة: النشاط التجاري للساحل الشرقي للجزائر (ق 3-6 هـ / 8-12 م)، مجلة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، قالمة، العدد 9، ديسمبر 2008، ص 62.
- (68) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ت، ص 193.
- (69) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957، ص 418.
- (70) الحدود الإسلامية البنزطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966، ج 1، ص 382، ج 2، ص 347.
- (71) أحمد مختار العبادي، والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص 38.
- (72) علاوة عمارة: النشاط التجاري، ص 61.
- (73) Henri Pirenne, op.cit.p.45-60.
- 74) E.Ashtor, nouvelles réflexions sur la thèse de Pirenne, Apropos d'une réimpression de Mahomet et Charlemagne, dans Studies on the Levantine Trade in the Middle Ages.
- (75) علاوة عمارة: النشاط التجاري، المرجع السابق، ص 61.
- 76) Pierre Guichard, Les pays de la Méditerranée occidentale entre le Ve et Xe siècle retour sur la problématique pirenienne dans L' Occident musulman et L'Occident chrétien ou Moyen Age Actes du colloque international, Rabat 2-4 novembre 1994, Rabat. Publications de la faculté des lettres, 1995, p.75-90.
- (77) حسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، و محمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983، ج 1، ص 69-70.
- (78) يستطيع التمييز بين أربع حالات: - المدينة القديمة تتحول إلى مدينة إسلامية مثل ما هو عليه الحال لقالة وقسنطينة وسطيف وميلة، - بناء مدينة حديثة إسلامية بجانب المدينة القديمة لتصبح مكملة لبعضها كما هو الحال لتنس وتيهرت وبونة- هجرة المدينة القديمة وبناء مدينة حديثة على أنقاضها، كما هو الحال بالنسبة للمسيطة والمدينة ومليانة- بناء مدينة حديثة إسلامية خالصة مثل ما هو عليه الحال بالقيروان وفاس وقلعة بني حماد. علاوة عمارة: النشاط التجاري، المرجع السابق، ص 63.
- (79) علاوة عمارة: إشكالية الهوية، ص 76.
- (80) حسن الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 27.
- (81) المصدر نفسه، ج 2، ص 31.
- (82) نفسه، ج 2، ص 32.
- (83) الدنانير الهرقلية: نسبة إلى الإمبراطور هرقل الذي نقش صورته عليها. محمد الشابي: مقدمة لدراسة نقود إفريقية العربية، مجلة إفريقية، العدد 1، تونس، 1966، ص 189.
- (84) صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، موفم للنشر، الجزائر، 2001، ص 73.
- (85) نفسه، ج 1، ص 69-70.



- 86) وقد بين ذلك سعيد دحماني من خلال دراسة نموذج مدينة بونة الوسيطية . أنظر:
Said Dahmani, Le port de bûna au Moyen Age, dans Actes du 115^{eme} congrès des Sociétés
Savantes, Avignon, 1990, V^e colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord,
p.772-774.
- (علاوة عمارة: النشاط التجاري، ص 87.63
- 88) Mahmoud –Agha Bouayed, Le port de Hunayit, trait d'union entre le Maghreb central et
l'Espagne au Moyne Age , dans- Relaciones de la Peninsula Iberica con el Magreb siglos
XIII-XVI, Actas del coloquio, Madrid 17-18 décembre 1988.p.326-327.
- 89) فتحي عثمان: المرجع السابق، ج2، ص189، ص347.
- 90) علاوة عمارة: النشاط التجاري، ص68.